

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

ISBN 978 - 9948 - 09 - 554 - 5

حقوق الطبع محفوظة

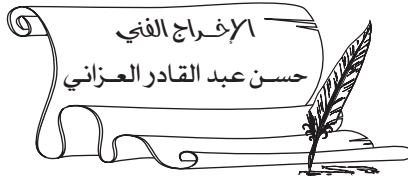
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ١٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ١٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



التفقيق اللغوي

شروق محمد سلمان





النجاة في زمن الفتن

إعداد

عيسى بن سلطان الرحومي المهيري

باحث بإدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث »

أن تقدم إصدارها الجديد « النجاة في زمن الفتن » إلى جمهور القراء من المفتين والفقهاء العاملين، والسادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

يذكر الكتاب بما يجب على المرء التمسك به حين تدهم الفتن، وتكثر الخطوب، وكيف يواجهها ويتصدى لها، وأن المخرج منها هو التمسك بحبل الله المتين، ولزوم جماعة المسلمين.

فقد حلت الفتن بكثير من الديار جعلت العاقل فيها حيران، وكثر الهرج والمرج، فما واجب الشباب، والآباء والعلماء في مثل هذه الأجواء؟ وكيف نحمي المجتمعات من الوقوع فيها؟ هذا ما عالجته هذا الكتاب.



وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء
 لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله،
 وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي
 مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد
 آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم
 دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع
 أصحابه وطلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا
 التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب
 التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ
 الْأُمِّيِّ الْخَاتَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إدارة البحوث





إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

تعرض الفتن على القلوب فتظلم سبيل الهدى وتضل طريق النجاة، فهي كالسفينة وسط البحر الهائج تلمطمها الأمواج من كل جانب ولا تدري في أي اتجاه تسير، فلا يستطيع صاحب السفينة أن يدير دفتها ليهرب منها، ولا يستطيع أن يتحكم



بشراؤها ليوجهها لينقذ حياته من الهلاك، إلا بعد جهد جهيد، كذلك المرء إذا وقع في الفتن فلا يستطيع الفرار منها ولا النجاة، إلا بالتمسك بهدي الشريعة؛ لأنها بينت الحق من الباطل وبينت ما ينفع الناس وما يضرهم، وبينت دعوة الأنبياء التي يجب اتباعها والافتداء بها، والتي ستتحدث عنها، فإن أول تشويه حصل في عصرنا هو تشويه لدعوة الأنبياء من قبل أهل الزيغ والباطل، فكانت هي بدايتهم للمرحلة الأولى لتمرير باطلهم، ثم الغلو في التكفير للمجتمعات وولاية الأمر وآحاد الناس والتي تعتبر المرحلة الثانية، ثم انتقلوا إلى المرحلة الثالثة وهي الخروج على ولاة الأمور وترك جماعة المسلمين بزعة الأمن وقتل الأنفس البريئة.

فتجدهم حَرَّفوا دعوة الأنبياء، ثم كَفَرُوا ولاة الأمور والمسلمين، ثم بعد تكفيرهم خرجوا عليهم، وأيضا من



الأمر المهمة في هذا البحث معرفة من هم الخوارج لأنهم بهم اقتدوا، فما عقيدتهم وصفاتهم؟ وذلك لتجنب شرهم كما قال الشاعر:

(عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنْ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ)

وهذا من أهم ما سأطرق له في هذا البحث إن شاء الله تعالى، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويسد لنا للرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.





تمهيد

تحذير الأمة من الفتن

من حكمة الله عز وجل أن ابتلى الإنسان ليميز الخبيث من الطيب، فإما يرفعه في عليين أو يكون من السافلين، والفتن تمحص المرء وتنخله كالغربال، فالخبيث يبقى فيرمي في أسفل سافلين، والطيب يمرّ من فتحاته لينال الدرجات العالية، والله سبحانه أعلم بصلاح عباده وما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

فما المقصود من الفتنة؟ الفتنة وردت للدلالة على الاختبار والابتلاء والتمحيص، قال الراغب الأصفهاني: « وجعلت الفتنة كالبلاء في أنها يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وقد قال فيهما: ﴿وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]... إلى أنه



قال: وقوله: ﴿ فَنَنْتَمِرْ أَنْفُسَكُمُ ﴾ [الحديد: ١٤]، أي: أوقعتموها في بليّة وعذاب، وعلى هذا قوله: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، فقد سمّاهم هاهنا فتنة اعتبارا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم، وسمّاهم عدوّا في قوله: ﴿ إِبْرَئِيلَ مِنْ أَرْوَجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، اعتبارا بما يتولّد منهم، وجعلهم زينة في قوله: ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ... ﴾ [آية آل عمران: ١٤]، اعتبارا بأحوال الناس في تزيينهم بهم، وقوله: ﴿ أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا أَمْعَا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، أي: لا يجتبرون فيميّز خبيثهم من طيبهم^(١).

والفتن التي نراها اليوم كثيرة ومتنوعة، ومنها ادعاءات باطلة، وتشويةٌ للشريعة، وتحريض وخروج على ولاة الأمور

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢٣ و٦٢٤، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٤ ص ٤٧٢.



بدعوات لم ينزل الله بها من سلطان، ومن الفتن ما يشيب الرأس ويحزن القلب؛ من قتل وهرج ونهب للأموال وغير ذلك من الأمور العظيمة، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عنها فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»^(١).

فهل جاءت الشريعة بهذا أم هو تشويه للشريعة وتضليل للأمة الإسلامية وتجريدٌ لهويتها السمحة؟! فالعاقل ينظر إلى الفتن من منظور الحق الشرعي فينجو بإذن الله منها، وغيره ينظر من منظور هواه فيضل عن طريق الحق والهدي النبوي أو يتبع عاطفته، فإن لم يملكها تصبح عليه كالعاصفة فتدمره، وشهوته تجره إلى نهايته، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦] قال ابن كثير في تفسير الآية:

(١) صحيح البخاري برقم: ٥٦٩٠.



(المراد بهذا الخطابِ آحادُ المُكَلَّفِينَ، أي: لا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ مَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَلَاذِهِ فِي دُنْيَاهُ، وَعَصَى مَوْلَاهُ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، فَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) اهـ^(١)، نعم، خاب وخسر وأغضب ربه ومولاه، وعصى رسوله ﷺ، فصاحب الهوى يشكك في كل أمر ويحاول التشبث بخيوط العنكبوت ليظنها له وهي عليه وكل ذلك ليدعم ما هو عليه من الباطل، قال الإمام الشاطبي: (صاحب الهوى إذا دخل قلبه، وأشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان، ولا يكثر بمن خالفه)^(٢).

وقد جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ٢٧٨.

(٢) الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٢٦٨.



أنكرها نُكْتَ فيه نُكْتَةٌ بِيضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أبيض
 مثل الصَّفَا فلا تَضْرُهُ فِتْنَةٌ ما دامتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ، والآخِرُ
 أسودٌ مُرْبَاداً^(١) كَالكُوزِ مَجْحِيًّا^(٢) لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً
 إلا ما أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ^(٣). والقلب سيد الجوارح فإن اعتاد على
 الطاعة مال إليها واطمأن وخضعت له بقية الجوارح وأنكر
 المعاصي ونفّرَ منها، وإن اعتاد على العصيان وحب الشهوات مال
 إليها وتشاجرت معه بقية الجوارح فصار قلقاً حيرانَ ولم يَأْلَفَ
 الطاعة فرغب عنها.

(١) قال أبو عمرو وأبو زياد الكلابي وغيرهما: قوله: مربد هو لون بين
 السواد والغبرة وهو لون النعام ومنه قيل للنعام: ربد فقالوا: مربد
 مثل: محمر ومصفر ومبيض. غريب الحديث، للقاسم بن سلام
 ج ٤ ص ١٢١.

(٢) كالكوز مجحياً: فإن المَجْحِي المائل؛ قال أبو زياد: يقال منه جَحَى الليلُ
 إذا مال ليذهب. قال أبو عبيد: ولا أحسبه أراد مع مليه إلا أن يكون
 منخرق الأسفل فشبّه به القلب الذي لا يعي خيرا كما لا يثبت الماء في
 الكوز المنخرق. اهـ غريب الحديث للقاسم بن سلام ج ٤ ص ١٢١.

(٣) صحيح مسلم برقم: ٢٣١.



وجاء لابن هبيرة كلام جميل في شرحه للحديث فقال:
(وذلك أنه قل ما يمر على الآدمي حال إلا ويجوز أن يكون
مختبراً بها، فإذا أتته حال فتنة عرف الشيطان أنها له في الآدمي
حال انتهاز فرصة واهتبال غرة فجعلها مركباً لكيده وشوكة
لإشراكه، فإن كان القلب لم يرسخ فيه الإيمان، بل هو طاف عليه
طفواً كطحلب على الماء، لم يكن ما يصدم الفتن منه ذا رسوخ ولا
تمكن، فيتزلزل للفتنة وتنقطع فيشر بها القلب، فبقدر ما ينكشف
من القلب لها ينكت فيه نكتة سوداء من ذلك الحيز الذي دخلت
الفتنة فيه منه؛ لأن القلب يشتمل على معان، فإذا جاءته الفتنة
من معنى من تلك المعاني فأشربها اسود ذلك الموضوع الآخر،
فلا يزال هكذا حتى يسود قلبه كله من جميع جوانبه، وتصوير
ذلك أنه لو علق مصباح في زجاجة، وكانت الزجاجة صافية
من نواحيها كلها، فإنها تضيء من جميع جهاتها، فلو صادفها من



جانب من جوانبها دخان، وتكرر عليها، ولم يمت عنها فإن ذلك
الموضع يسود فلو قد كان ذلك في جميع أجزائها لأظلمت من
سائر نواحيها^(١) اهـ.

وقال رسول الله ﷺ: « سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ
الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ
السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ^(٢)، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا
فَلْيَعُدْ بِهِ^(٣) » يدل الحديث على أن القاعد خير من الماشي لأن
الماشي يرى من الفتن ما تشيب الرؤوس وتحار العقول وتزيغ
القلوب فلا يفرق بين الصدوق والكذوب، والماشي فيها خير
من الساعي لأن الساعي مسرع على عجلة يرى الفتن كالسراب

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ج ٢ ص ٢٤٠.

(٢) قال النووي: (وهو من الإشراف للشيء، وهو الانتصاب والتطلع إليه
والتعرض له، ومعنى تستشرفه تقلبه وتصرعه) المنهاج شرح صحيح

مسلم للنووي ج ١٨ ص ٩.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٦٦٧٠.



كلما ذهب إليها لا يصل إلى مبتغاه فيظماً ويهلك، ومن يشرف لها تستشرفه فيذهب المرء بقدميه إلى الفتن فتستقبله بأحرّ استقبال ولا يدري ما وراء هذا الاستقبال من فخاخ فيقع فيها فتكون نهايته، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليتعوذ به أي من وجد عاصماً يتقي هذه الفتن التي تموج به كالموج الهائج فليتعوذ به ولا ملجأً حينئذٍ إلا إلى الله عز وجل.

فالسعيد من جنب الفتن، فإن دينه، هو رأس ماله وفلاحه في دينه ودنياه، قال النبي ﷺ: « إن السعيدَ لمن جُنِبَ الفِتنَ، إنَّ السعيدَ لمن جُنِبَ الفِتنَ، إنَّ السعيدَ لمن جُنِبَ الفِتنَ، ولَمَن ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهِأً^(١) »^(٢) ومن ابتعد عن مواطن الفتن والشبه فقد

(١) معنى هذه الكلمة التلّهف، وقد توّضع مَوْضِعَ الإعجاب بالشيء، يقال: وَاهَأَ لَهُ. وقد تَرَدُّ بِمَعْنَى التَّوَجُّعِ، وقيل: التَّوَجُّعُ يقال فيه: آهَأَ.

اهد النهاية لابن الأثير. ج ٥ ص ٣٠٧.

(٢) سنن أبي داود برقم: ٤٢٦٥.



نجا منها وسَلِم، قال النبي ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف^(١) الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»^(٢)، قال ابن رجب في الحديث: (يهرب خشية على دينه من الوقوع في الفتن؛ فإن من خالط الفتن، وأهل القتال على الملك لم يسلم دينه من الإثم إما بقتل معصوم أو أخذ مال معصوم أو المساعدة على ذلك بقول ونحوه، وكذلك لو غلب على الناس من يدعوهم إلى الدخول في كفر أو معصية حسن الفرار منه. وقد مدح الله من فرَّ بدينه خشية الفتنة عليه فقال - حكاية عن أصحاب الكهف - ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٦] ^(٣). اهـ.

(١) شعف الجبال أي رؤوسها وأطرافها. فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ١٣٩.

(٢) صحيح البخاري برقم: ١٩.

(٣) فتح الباري لابن رجب ج ١ ص ١٠٨.



فالمؤمن ينتقاد إلى الشريعة - وهو مطمئن القلب موقن بها -، مبادراً بالأعمال الصالحة التي يبتغي بها مرضاة ربه سبحانه وتعالى قبل ظهور الفتن فينشغل بها، قال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا»^(١). قال المناوي: (المراد الحث على العمل الصالح قبل تعذره أو تعسره بما يحدث من الفتن المتراكمة كتراكم ظلام الليل «يصبح الرجل» يعني الإنسان فيها «مؤمناً ويمسي كافراً» أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً) أي لعظمتها ينقلب الإنسان من الإيمان للكفر وعكسه في اليوم الواحد «يبيع أحدهم دينه بعرض» بفتح الراء «من الدنيا قليل» أي بقليل من حطامها، والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا)^(٢) اهـ.

(١) صحيح مسلم برقم: ١٨٦.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ج ١ ص ٨٤٧.



فالحذر الحذر من الفتن، والخوض فيها والتهاون بها، لأن
 المرء لا يدري أينجو منها أم لا، وعدم الاستعجال في الحكم
 عليها لأنه قد ينخدع بها، والرجوع إلى أهل العلم المعتبرين
 المتقين الله عز وجل، لأن الفتن إذا جاءت علمها العالم وإذا
 ذهبت علمها كل أحد.



المبحث الأول

مباحث مهمة في زمن الفتن

أولاً: مهمة الأنبياء الأولى.

ثانياً: الخوارج

ثالثاً: خطورة تكفير المسلمين.

رابعاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.



أولاً: مهمة الأنبياء الأولى

إذا أراد السوس أن ينخر في شجرة بدأ في أصلها - وهو ساقها - فإذا كثرت النخر وقعت الشجرة وسقط ما عليها، وهكذا أهل الأهواء إذا أردوا إفساد دين أحدٍ أوردوا عليه الشُّبَهَ من تحريف وكذب على الشريعة، وكل ذلك لأجل باطلهم الذي هم عليه.

ومن التحريف على الشريعة، تحريف دعوة الأنبياء التي جاءت بها الرسل من عند رب العالمين، فمن هذه الدعوات الباطلة: أن نزاع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن لعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت^(١)، بل جاء الرسلُ

(١) أي: ما يعبد من دون الله عز وجل.



لمنازعتهم في ملكهم وقوانينهم^(١)، وهذا باطل بلا شك ولا ريب كما سنبينه في دعوة الأنبياء عليهم السلام عموماً ودعوة نبينا ﷺ خصوصاً.

دعوة الرسل من نوح عليه السلام إلى نبينا ﷺ واحدة لا فرق فيها من جهة أصل الدين، كما بينها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]، قال ابن كثير رحمه الله: (كل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفتنة شاهدة بذلك أيضاً، والمشركون لا يبرهان لهم، وحجتهم داخضة

(١) القصة الكاملة لخوارج العصر ص ٣٥ إلى ص ٥٣.



عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد^(١) فما من نبي إلا وكان أول ما يدعو إليه هو عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت؛ لأنه إذا صلح ما يعتقد المرء وكان موافقا بما جاءت به الرسل عن رب العالمين صلح سائر أعماله وإذا فسد ما يعتقد حبطت سائر أعماله، وجاء أيضا عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٢)، قال العيني في شرحه للحديث: (قوله: «ودينهم واحد» أي: التوحيد دون الفروع للاختلاف فيها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ويقال: دينهم أي: أصول الدين وأصول الطاعات واحد، والكيفيات والكميات في الطاعة مختلفة)^(٣)، وهذا ما يوضح قول الله

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٥ ص ٣٣٨.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٣٢٥٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج ١٦ ص ٣٦.



عز وجل بأن دين الأنبياء واحد في أصول الدين، إنما الاختلاف في الفروع والهيئات، فعندهم الصلاة والزكاة والصيام، ولكن صلاتهم لا تشبه صلاتنا وزكاتهم لا تشبه زكاتنا وصيامهم لا يشبه صيامنا، فهي متوافقة بالمعنى ومختلفة بالهيئات.

وكذلك دعوة نبينا محمد ﷺ بدأت بمثل ما بدأها الرسل عليهم السلام، فبقي في مكة قرابة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو بدعوتهم، فعودي واتهم بأبشع الألفاظ، ولوحق من قبل أهل مكة، ورمي بالحجارة من أهل الطائف حتى دُمي، وغير ذلك من صور الابتلاء فصبر على أذاهم واستمر بدعوته، فقد جاء عن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهلياً أسلم، فقال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا » وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ يَقُولُ: « أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا » إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ



وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكَرُ النَّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو هَبِّ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمَئِذٍ صَغِيرًا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقِلُ»^(١).

فكانت دعوة النبي ﷺ عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت من بداية ما بعث إلى مماته ﷺ وهو يحذر من الشرك على فراش موته؛ وذلك لبيان أهمية دعوته، فقد جاء عن جندب رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٢).

(١) مسند الإمام أحمد برقم: ١٦٠٢٣.

(٢) صحيح مسلم برقم: ٥٣٢.



لابد من فهم دعوة الأنبياء وفق ما جاءت به الشريعة الغراء، وأن لا يفهم ويُحكّم المرء الرأي الفاسد على رأي الشريعة وأن لا يفسر دعوة الأنبياء بما يوافق هواه فيحيد عن الصواب الذي لا ريب فيه، وقد ذم علي رضي الله عنه الرأي الفاسد فقال: (لو كان الدينُ بالرأي لكانَ أسفلَ الخُفِّ أولى بالمسحِ من أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله - ﷺ - يمسحُ على ظاهرِ خُفِّهِ) (١)، والمقصود بالرأي الفاسد، الخالي عن الأدلة الصحيحة المجانب للصواب، قال ابن حجر: (فالرأي إذا كان مُستنداً إلى أصلٍ من الكتابِ أو السُنَّةِ أو الإجماعِ فهو المحمودُ وإذا كان لا يُستندُ إلى شيءٍ منها فهو المذموم) (٢).

لو أن أهل الأهواء تمسكوا بهدي النبوة لما وقعوا في هذا الأمر الشنيع من تحريف وتشويه لدعوة الأنبياء عليهم السلام

(١) سنن أبي داود برقم: ١٦٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٢٨٩.



ولو أنهم انقادوا للشريعة لتبين لهم الحق من الباطل وأنهم على غير هدي النبوة، فقد جاء عن العرياض رضي الله عنه أنه قال: صَلَّى بنا رسولُ الله - ﷺ - ذات يوم، ثم أقبَلَ علينا، فوعَظَنَا موعظةً بليغةً ذرَفَتْ منها العيونُ وَوَجَلَّتْ منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسولَ الله - ﷺ - كأنَّ هذه موعظةٌ مودِعٌ، فماذا تَعهدُ إلينا؟ قال: « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعةِ وإنَّ عبداً حبشياً، فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعدي فسيَري اختِلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وَعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٌ ضلالةٌ »^(١)، فدل الحديث على أهمية الاقتداء بهديه ﷺ وهدى الصحابة رضوان الله عليهم في كل وقت لأجل اقتداء الأمة بهم من بعده ﷺ وبالأخص في وقت اختلاف الناس لأنه طريق النجاة.

(١) سنن أبي داود برقم: ٤٦٠٧.



وهكذا نصون دعوة الأنبياء من التشويه، لا كما فعله أهل الأهواء لأغراض خسيصة في نفوسهم، ولأجل أن يؤصلوا قواعدهم الباطلة التي ينطلقون منها إلى مبتغاهم الفاسد، وينسبون إلى الشريعة ما ليس منها.

ثانياً: الخوارج:

- أول ظهورهم:

البدعة خطرهما عظيم فهي كالوباء إذا أُصيب المرء به ولم يكن لديه المصل هلك، إلا أن ينجيه الله برحمته من عنده، وكذلك بدعة تكفير المسلمين بالذنوب، إذا لم يكن لدى المرء من علم يردُّ المشابه إلى المحكم حاراً في دائرة التناقضات ولم يجد لها من جواب.

فبدعة تكفير المسلمين بالذنوب ليست وليدة هذا العصر، بل هي بدعة قديمة كانت بذرتها في زمن النبي ﷺ من رجل



يُدعى ذو الخويصرة^(١) ثم ترعرعت هذ البدعة في آخر زمن الخلفاء الراشدين حتى أطلت برأسها في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقويت شوكتها فخرجوا على علي رضي الله فسموا بالخوارج حينئذ.

فهي أول بدعة ظهرت في الإسلام^(٢) وكان حامل لوائها الخوارج، فكفروا المسلمين بغير دليل وقتلوا الكبير والصغير، قال ابن الجوزي: « وكان أصحاب نافع بن الأزرق^(٣) يقولون

(١) عن سعيد الخدري رضي الله عنه قال بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِشَيْءٍ فَقَسَمَهُ بَيْنَ أَرْبَعَةٍ، وَقَالَ: أَنَا لَفُهُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَا عَدَلْتَ، فَقَالَ: «يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئٍ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ». صحيح البخاري برقم: ٤٣٩٠، وقال أبو عبيد: الضئئ هو أصل الشيء ومعدنه. غريب الحديث لابن سلام ج ٣ ص ١١٠.

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا يَجِبُ الإِحْتِرَازُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا فَإِنَّهُ أَوَّلُ بَدْعَةٍ ظَهَرَتْ فِي الإِسْلَامِ فَكَفَّرَ أَهْلُهَا الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ). مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٣ ص ٣١.

(٣) نافع بن الأزرق تتسبب إليه فرقة الأزارقة من الخوارج. انظر الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لأبي منصور الإسفراييني ص ٦٢.



نحن مشركون ما دمننا في دار الشرك فإذا خرجنا فنحن مسلمون، قالوا ومخالفونا في المذهب مشركون، ومرتكبو الكبائر مشركون، والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفر، وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك»^(١).

- صفاتهم:

ذكر النبي ﷺ صفات الخوارج للتحذير منهم ما لم يذكر غيرهم من الفرق الباطلة، فما جاء عن رسولنا نبي الرحمة صلى عليه وسلم أنه قال عنهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»^(٢).

فمنهم من يتورع في أخذ ثمرة سقطت من نخلة، وآخر يستسمح مشركا ويرضيه في قتل خنزير له،

(١) تليس إبليس ص ٨٦ .

(٢) صحيح البخاري برقم: ٣١٦٦ .



وآخر لا يتورع في قتل صحابي وزوجه وولدها الذي
في بطنها^(١).

وأيضاً مما جاء عن الخوارج أنهم أكثر قراءة للقرآن وأكثر
تعبدًا وأصغر أعماراً، فإنهم لا خبرة لهم في الحياة وحظهم من
العلم الشرعي ضئيل، فلا تنفعهم قراءتهم للقرآن لأن القرآن
لا يجاوز حناجرهم، لأنهم على غير هدي النبي ﷺ، وشرط
الأعمال الصالحة أن تكون خالصة لله عز وجل وأن تكون موافقة
لهديه ﷺ^(٢)، وقد جاء عن علي - رضي الله عنه - أنه قال سمعت
رسول الله ﷺ يقول: « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداثُ
الأسنان سفهاءُ الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٠ ص ٥٨٤.

(٢) قال الفضيل بن عياض: « إنَّ العملَ إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً،
لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل حتى يكون خالصاً
صواباً، قال: والخالصُ إذا كان لله عز وجل، والصوابُ إذا كان على
السنة » جامع العلوم والحكم ج ١ ص ٧٢.



القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»^(١). فيا لها من سفاهة في عقولهم تلاعب الشيطان فيها، يقرؤون الحق المبين والهدي القويم ولا ينتفعون به، قال ابن الجوزي - رحمه الله - في تلاعب الشيطان بهم: هَذَا من تسويل الشَّيْطَانِ لِلْقَوْمِ وتزيينه لهم، فَإِنَّهُ لما أحس بقله عُقُولَهُمْ ملكَهَا^(٢)، وقال ابن عبد البر رحمه الله في الحديث: (أما قوله يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فمعناه أنهم لم ينتفعوا بقراءته إذ تألوه على غير سبيل السنة المبينة له، وإنما حملهم على جهل السنة ومعاداتها وتكفيرهم السلف ومن سلك سبيلهم وردهم لشهاداتهم ورواياتهم تأولوا القرآن بأرائهم فضلوا وأضلوا فلم ينتفعوا به ولا حصلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضغ

(١) صحيح مسلم برقم: ٢٥١١.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ج ١ ص ٧٥٧.



الذي ييلع ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته، وأما قوله
يمرقون من الدين فالمرق الخروج السريع كما يخرج السهم من
الرمية والرمية الطريدة من الصيد المرمية مثل المقتولة والقتيلة،
قال الشاعر:

النفس موقوفة والموت غايتها

نصب الرمية للأحداث ترميها

وقال أبو عبيد: كما يخرج السهم من الرمية قال يقول خرج
السهم ولم يتميز بشيء كما خرج هؤلاء من الإسلام ولم يتمسكوا
منه بشيء^(١).

- أصل معتقدتهم الفاسد:

الأصول الفاسدة التي جاء بها الخوارج عائدة إلى إعراضهم
عن النصوص الشرعية وأخذهم ببعضها دون بعض، فغلبوا

(١) الاستذكار ج ٢ ص ٤٩٩.



جانباً دون الآخر والله عز وجل قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال سعيد بن
جبير: «أما المتشابهات: فهنَّ آي في القرآن يتشابهن على الناس
إذا قرءوهنَّ، من أجل ذلك يضلُّ من ضلَّ ممن ادعى هذه الكلمة
كُلَّ فِرْقَةٍ يَقْرَءُونَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ أَصَابُوا بِهَا
الهُدَى وَمِمَّا تَتَّبِعُ الْحُرُورِيَّةُ^(١) مِنَ الْمُتَشَابِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ
لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]
وَيَقْرَءُونَ مَعَهَا: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:
١] فَإِذَا رَأَوْا الْإِمَامَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الْحَقِّ قَالُوا: قَدْ كَفَرْنَا وَمَنْ كَفَرَ عَدَلٌ

(١) فرقة من الخوارج.



بِرَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فَهَؤُلَاءِ الْأَيْمَةُ مُشْرِكُونَ، فَيُخْرَجُونَ فَيَفْعَلُونَ مَا رَأَيْتَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ»^(١)، وكذلك قال الضحاك: (ولا تكونوا كأهل نهروان- أي الخوارج- تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة، وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا بعلمها، فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل الله لم يختلف في شيء منه)^(٢).

فالخوارج يتبعون الفتنة ليفسدوا في الأرض ويهلكوا الحرث والنسل، لزيغ في قلوبهم وجريان الفتنة في دمائهم، فلما تشابهت آيات القرآن عليهم والنصوص النبوية بنوا عليها ما يعتقدونه، فهم يعتقدون ثم يستدلون، وأهل السنة والجماعة أهل الحق يستدلون ثم يعتقدون ويردون المتشابه إلى المحكم، قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم

(١) الشريعة للأجري ج ١ ص ٣٤١.

(٢) تفسير البغوي ج ١ ص ٣٣٤.



الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى»^(١).

- قولهم في الإيمان ومخالفتهم لأهل السنة والجماعة:

فلما تشابهت الآيات عند الخوارج تأصل عندهم معتقد فاسد، فأصل ما جاءت به الخوارج من ضلال مبني على أن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالعصيان؛ لهذا كفروا المسلمين بلا دليل وقتلوهم وهذا بهتان عظيم على الشريعة، قال ابن تيمية رحمه الله: (وَأَصْلُ نَزَاعِ هَذِهِ الْفِرْقِ فِي الْإِيمَانِ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِيَّةِ وَالْمُعْتَرِكِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ أَتَّهَمُ جَعَلُوا الْإِيمَانَ شَيْئًا وَاحِدًا إِذَا زَالَ بَعْضُهُ زَالَ جَمِيعُهُ وَإِذَا ثَبَتَ بَعْضُهُ ثَبَتَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٦.



جَمِيعُهُ فَلَمْ يَقُولُوا بِذَهَابِ بَعْضِهِ وَبَقَاءِ بَعْضِهِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١) (٢)، فقولهم بأن الإيمان شيء واحد إذا زال بعضه زال جميعه أي إذا نقص بعض إيمان المرء بمعصية ذهب جميعه ونتج عن ذلك تكفير المسلمين وهذا مخالف للنصوص الشرعية، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه فنتج عن ذلك بأنه لا فرق بين إيمان المؤمنين وأنهم سواسية وهذا لا يعقل.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان كما ذكره أهل العلم، قال عبد الرزاق رحمه الله: (كان معمر وابن جريج والثوري

(١) يقصد حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة - شك مالك - فينتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» صحيح البخاري برقم: ٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٧ ص ٥١٠.



ومالك وابن عيينة يقولون الإيـان قول وعمل يزيد وينقص، قال عبدالرزاق وأنا أقول ذلك الإيـان قول وعمل والإيـان يزيد وينقص فان خالفتمهم فقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين^(١)، وجاء أيضا عن أبي بكر الآجري في ترجمته لباب الإيـان من كتاب الشريعة: (باب القول بأن الإيـان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنا، إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث)^(٢)، وكذاك بَوَّب الإمام البخاري في كتابه الصحيح وفيه فقهه رحمه الله: باب الإيـان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ﴿وَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٤٣.

(٢) كتاب الشريعة للآجري ج ٢ ص ٦١١.



إِيْمَانًا ﴿ [المُدثَّر: ٣١]، وقوله: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا ﴾ [التوبة: ١٢٤]... إلخ^(١)، وجاء أيضا في رسالة ابن أبي زيد القيرواني وغيره من العلماء أنه قال: (وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)^(٢)، وكل هذه الأدلة تدل على عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يكون مؤمنا، إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث.

والخوارج على عقيدة باطلية ومخالفة للهدى النبوي الذي لا بد من التزامه، لأن معتقد الخوارج فيه تكفير المسلمين بالكبائر وتخليدهم في النار.

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان ج ١ ص ١٠.

(٢) الرسالة ص ٨.



- تكفير الخوارج صاحبَ الكبائر وتخليده في النار:

ومن العقائد الفاسدة التي جاءت بها الخوارج والعائدة إلى الأصل الذي ذكرناه في أصل الإيثار عندهم، بأنهم يكفرون أصحاب المعاصي ومن خالفهم ويدعونَ خلودهم في النار، يقول أبو الحسن الأشعري: (أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إن حكّم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدة فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدة^(١) أصحاب نجدة)^(٢)، وكذلك قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: (الخوارج صنّفان أحدهما يزعم أن عثماناً وعليّاً وأصحاب الجمل وصيفين وكلّ من رضي بالتحكيم كفّار، والآخر يزعم أن كلّ من أتى كبيرة فهو كافرٌ مخلّدٌ في النار

(١) فرقة من فرق الخوارج نسبة لنجدة بن عامر الحنفي. انظر الملل والنحل

لمحمد الشهرستاني ج ١ ص ١٢١.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٨٦.



أبداً^(١)، والذي نشاهده في هذه الأزمان من قتل للمسلمين وتكفير للمخالفين، ليس ببعيدٍ عن الذي كان في القرون الماضية، كأن القرون التي مضت تعود من جديد.

وأهل السنة والجماعة لا يكفرون صاحب المعاصي من أهل القبلة ولا يدعون خلوده في النار، بل هو تحت مشيئة الله عز وجل إن أراد الله عذبه وإن أراد الله أدخله الجنة، وهذا ما درج عليه العلماء السابقون، بل أجمعوا على ذلك، قال ابن بطة العكبري رحمه الله: (وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم، أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يخرج من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسن ونخاف على المسيء)^(٢)، وقال ابن زيد القيرواني المالكي في رسالته: (وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة)^(٣) ويعتقد أهل السنة والجماعة بعدم خلود صاحب الكبيرة في النار

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ٢٨٥.

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة ص ٢٩٢.

(٣) الرسالة ص ٨.



على عكس الخوارج فإنهم يعتقدون خلوده في النار، ويتقولون على الله ما لا يعلمون، فقد جاء عن الطحاوي في عقيدته: (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَعْفُرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته)^(١) اهـ.

وأيضاً من الأدلة العقلية التي تدل على بطلان ما ذهب إليه الخوارج، بأن النبي ﷺ أقام حد شارب الخمر - وهو الجلد - في زمنه ﷺ^(٢) ولم يقيم بقتله ولو كان كما يدعيه الخوارج بأن صاحب الكبيرة يكفر للزم من ذلك قتله لأنه ارتد عن دينه بفعل هذه

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٢.

(٢) انظر صحيح البخاري باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، رقم الحديث: ٦٣٩٨.



الكبيرة ولم يفعله ذلك نبي الرحمة ﷺ، وعقوبة صاحب الكبيرة في كلام الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ كثيرة في ذلك، قال ابن أبي العز: (ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد)^(١) اهـ.

ثالثاً: خطورة تكفير المسلمين:

غلظت الشريعة في حكم التكفير وما يترتب عليه من الحقوق العظيمة لله وللناس، كقتل المرتد عن دينه والتفريق بين الزوجين وعدم التوريث وغير ذلك، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الحكم بالكفر على أحد أمرٌ عظيم وجد خطير، ولا يكون ذلك إلا لأهل العلم الراسخين العالمين بالحلال والحرام المتقين الله عز وجل؛ لأنه حق لله عز وجل ورسوله ﷺ، قال ابن تيمية رحمه الله: (فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون

(١) شرح عقيدة الطحاوي لابن أبي العز ص ٢٢٩.



من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى. وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر^(١) اهـ.

وكذلك جاءت في السنة النبوية أحاديث تحذر من التكفير بلا دليل فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا »، وزاد مسلم: « إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ »^(٢)، وبوّب البخاري للحديث قائلا: مَنْ كَفَرَ أَخَاهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وأيضا جاء عن النبي ﷺ أنه

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة ج ٢ ص ٤٩٢.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٥٧٥٢، و صحيح مسلم برقم: ٦٠.



قال: « وَمَنْ قَدَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ »^(١)، فكيف بمن يكفر المجتمعات ولا يبالي ويقتل الأبرياء والأطفال والنساء، إن هذا لشيء عجاب! وتقشعر منه الأبدان، والنبى ﷺ يقول: « قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا »^(٢).

وخلاصة الكلام بأنه يجب محاربة فكر الخوارج بشتى الوسائل المشروعة لأن ضلالتهم وخيمة على المسلم وعلى المجتمع وتكون محاربة هذا الفكر بتعلم العقيدة الصحيحة على وجه الخصوص، والرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف.

رابعا: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

أمرتنا الشريعة بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فهي الدرع الحصين والترس المتين ضد كل عدو يريد خلخلة ترابطها وتفكك أهلها، وفساد أرضها.

(١) صحيح البخاري برقم: ٥٧٠٠.

(٢) سنن النسائي برقم: ٣٩٨٦.



فلزوم جماعة المسلمين يبني عليها حفظ الأنفس من القتل، والأعراض من الهتك وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، فنعمة لزوم جماعة المسلمين نعمة واحدة؛ لكنها مرتبطة بغيرها فإذا ذهبت هذه النعمة، ذهبت بقية النعم.

والأمم التي سبقتنا لما انشق الصف عندها وتخلخل ترابط وحدتها، أصبحوا فرقاً متناحرين، فتجدهم في بيوت خاوية وزروع هاوية، بلا مأكّل ولا مشرب ولا مهجع يتضجع إليه؛ وذلك لمفارقتهم جماعة المسلمين وإمامهم، قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال سماك بن الوليد الحنفي أنه لقي ابن عباس رضي الله عنه بالمدينة فقال ما يقول في سلطان علينا يظلمونا ويشتمونا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم قال: (لا أعطهم يا حنفي... وقال يا حنفي الجماعة الجماعة إنما هلكت الامم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ



جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿ [آل عمران: ١٠٣] ^(١)، فهلاك الأمم بتفرقها والله مع الجماعة ما داموا ملازمين لها، وإن تفرقوا وأصبحوا عزين كان الشيطان معهم ما داموا متفرقين، إنما يأكل الذئب القاصية والناحية، قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه ^(٢) الجنة فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن ^(٣)».

فالمرء يحذر من خطوات الشيطان فإنها مهلكة، ويلزم جماعة المسلمين، ومن فارقتها ومات، فقد مات ميتة أهل الجاهلية، قال النبي ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» ^(٤) أي على هيئة ما مات عليه أهل الجاهلية، من كونهم

(١) تفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٧٢٤.

(٢) قوله: بحبوحه الجنة يعني وسط الجنة، وبحبوحه كل شيء وسطه وخياره. غريب الحديث لأبي عبيد ابن السلام ج ٢ ص ٢٠٥.

(٣) سنن الترمذي برقم: ٢١٦٥ وسنن الكبرى للنسائي: برقم: ٩١٨١.

(٤) صحيح مسلم برقم: ٤٨٩٢.



فوضى لا يدينون لإمام^(١). قال قتادة رحمه الله: (إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة، وقدّم إليكم فيها، وحدّركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله)^(٢) اهـ.

فما المقصود بالجماعة؟ هي لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج عليهم، قال ابن العربي رحمه الله: (يحتمل معنيين يعنى أن الأمة أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولاً آخر، الثاني إذا اجتمعوا على إمام فلا تحلّ منازعته ولا خلعه، وهذا ليس على العموم بل لو عقده بعضهم لجاز ولم يحل لأحد أن يعارض)^(٣) اهـ، وقال الشاطبي رحمه الله: (وحاصله، أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن

(١) إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم ج ٦ ص ١٣٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ج ٧ ص ٧٤.

(٣) عارضة الأحوزي ج ٩ ص ١٠ و ١١.



معنى الجماعة المذكور في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم^(١) اهـ، وقال الطبري: (والصَّوَابُ أَنْ الْمَرَادَ مِنْ الْخَبَرِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ فِي طَاعَةٍ مَنْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَأْمِيرِهِ فَمَنْ نَكَثَ بِيَعْتَهُ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ)^(٢) اهـ.

فطاعة أولي الأمر في المعروف ولزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عليه سواءً باللسان أو السنن من إطاعة الله ورسوله ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال النبي ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٣)، وأهل العلم على حرمة الخروج على ولاة الأمر المسلمين سواءً كانوا فجاراً أو بارين، قال البرهاري رحمه الله: (السمع والطاعة للأئمة فيما يجب الله

(١) الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٧٧٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٣٧ وتحفة الأحوزي ج ٦ ص ٣٢١.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٦٧٢٥.



ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام برأ كان أو فاجراً... هكذا قال أحمد ابن حنبل^(١).

ومن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، ولا يفارق الجماعة، ولا يخلع من رقبته الولاء والطاعة ويوالي غيره ما دام حياً، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ^(٢) الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ^(٣)» وقال رسول الله ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر^(٤)».

(١) شرح السنة للبرهاري ص ٧٧.

(٢) قال الطيبي: الربقة: عروة في جبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعيرت لانقياد الرجل واستسلامه لأحكام الشرع، وخلعها ارتداده وخروجه عن طاعة الله وطاعة رسوله. مرقاة المفاتيح لعلي الملا القاري ج ١ ص ٢٦٩.

(٣) سنن أبي داود برقم: ٤٧٦٠.

(٤) مسند الإمام أحمد برقم: ٦٥٠١.



والنصيحة لولي الأمر لا تكون على المنابر أمام الناس كما فعل أهل الأهواء بظنهم هذا من إنكار المنكر والأمر بالمعروف، وليس ذلك بشيء، فإنهم وقعوا في محذور وخالفوا شريعة الله، لأن الإنكار والنصح لولي الأمر لا يكون علناً، إنما يكون سراً كما جاءت به السنة، قال النبي ﷺ « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عِلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ »^(١)، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال لابن عباس: (أمر أميرى بالمعروف، قال: إِنْ خِفْتَ أَنْ يَقْتَلَكَ فَلَا تُؤَنِّبِ الْإِمَامَ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعْلَمْ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ)^(٢).

ولا تكون النصيحة إلا من أهل العلم الراسخين الذين يقدرّون المصالح والمفاسد، وينزلون ولاة الأمر منازلهم لأنه من

(١) مسند الإمام أحمد برقم: ١٥٣٣٣ والسنة لابن أبي عاصم برقم: ١٠٩٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٧٤.



أهان السلطان أهانه الله ومن أكرم السلطان أكرمه الله، قال النبي
 ﷺ: « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ
 أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللَّهُ »^(١)، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (أمرنا
 أكابرنا من أصحاب محمد ﷺ: أن لا نسب أمراءنا، ولا نغشهم،
 ولا نعصيهم، وأن نتقي الله ونصبر، فإن الأمر قريب)^(٢).



(١) السنة لابن أبي عاصم برقم: ١٠٢٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي برقم: ٧١٠١.



المبحث الثاني

حماية مجتمعنا من الأفكار الضالة

أولاً: واجبنا تجاه حماية المجتمع.

ثانياً: واجبنا تجاه أهل العلم.

ثالثاً: واجب الشباب تجاه أنفسهم.





أولاً - واجبنا تجاه حماية المجتمع:

حماية المجتمع واجب على كل فرد من أفرادهِ فهو كالبنين يشد بعضه بعضاً كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً » وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ^(١).

وواجب كل أسرة ومجتمع حماية أنفسهم من أي سوء، والتكاتف والتعاون في ذلك، فالمجتمع كالسفينة الواحدة إن أهمل جزءٌ منها غرقت السفينة وهلك من عليها وإن أخذوا بيد بعض وأصلحوا الخطأ، نجت ونجا من عليها من الهلاك، قال النبي ﷺ: « مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم

(١) صحيح البخاري برقم: ٤٦٧.



استهموا^(١) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا^(٢).

فلا بد أن تكون حماية المجتمع عبر أسس متينة ونظام متوافق وقواعد منضبطة، ولا يكون ذلك إلا في كلام ربنا عز وجل وهدى نبينا ﷺ، فهو الأساس المتين والسد المنيع من كل الشرور، ومنه العلاج لكل أمورنا الحياتية سواء في الدنيا أو في الآخرة، فالشريعة جاءت لمصالح العباد فهي كاملة لا نقص فيها، قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) قال الكسائي: الاستهام الاقتراع. غريب الحديث للقاسم بن سلام

ج ١ ص ١٥٠.

(٢) صحيح البخاري برقم: ٢٣٦١.



ثانيا - واجبنا تجاه أهل العلم:

قال الله تعالى: ﴿ فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]، جعل الله عز وجل الناس فريقين، سائلٌ ومسؤول، فالمسؤول هو العالم في أمور دينه الذي يُرجع إليه، والسائل الذي يسأل أهل العلم إذا جهل من أمور دينه.

فضل أهل العلم عظيم ومقامهم رفيع، ومن جملة ما جاء في فضلهم، بأنهم أخشى الناس وأتقاهم في الله عز وجل، لأنهم عرفوا الله حق المعرفة فعبدوا الله على علم واتبعوا أوامره ولم يخالفوه، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال السعدي رحمه الله: (ومن تمام خشيتهم لله، أنهم ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ١٩٩] فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلا وأما هؤلاء فعرفوا



الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطنون ما وعدهم الله، لأن ما هو آتٍ محققٌ حصوله، فهو قريب^(١)، وقال النبي ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»^(٢)

(١) تفسير السعدي ص ١٦٢.

(٢) سنن أبي داود برقم: ٣٦٤٣.



فإذا كان هذا فضلهم وأنهم ورثة الأنبياء ومَن أخذ بعلمهم فقد أخذ بحظ وافر، وجب علينا الرجوع إليهم وإطاعتهم في المعروف، لأن العلماء الربانيين مواقفهم ثابتة لا تتغير نابعة من مشكاة النبوة، فهم يأمرون الناس بلزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج على ولاة الأمر وعدم التعصب للآراء، ويجذرون من التفرق والنزاعات.

وعلى المرء عدم التهاون في سؤال أهل العلم في شؤون الدين، وأن لا نأخذ الفتاوى إلا من أهلها، وأن يسأل العالم الرباني الذي يتقي الله سبحانه وتعالى كمن يسأل عن أجود أمور الدنيا، ويبحث عن أفضل طبيب فيبذل جهده ويسأل كل أحد ليصل إلى مبتغاه، ولكن لا يكلف نفسه بل يزهد في السؤال عن العالم الذي يتقي الله عز وجل ويرشده لصلاح دينه ودنياه.



ثالثا - واجب الشباب تجاه أنفسهم:

الأجيال الشابة هي اللبنة الأولى للمستقبل، ومخزون طاقة البلدان، فإذا صلح الجيل صلحت الأجيال التي بعدها، فأهميتها كبيرة، ولا يقل شأنها عن غيرها.

والشريعة اهتمت بهذه الشريحة من الناس وحثت الأبوين على الاهتمام بهم، من ولادتهم إلى أن يشاء الله.

فلا بد للأجيال من التفكير في مستقبلهم والفقهاء بالدين لأنه طريق الجنة، قال النبي ﷺ: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة »^(١)، وأن يعلموا أن الأفكار التي جاءت بها بعض الفرق الضالة، هي في الحقيقة هدم للأجيال والمستقبل، وأن الشريعة بعيدة كل البعد عن تلكم الأفكار الباطلة، وهي بريئة كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

(١) صحيح مسلم برقم: ٧٠٢٨.



ولا بد للأبناء من الرجوع للوالدين في كل أمورهم، لأنها اللذان أوصى الله عز وجل ببرهما وقرن حقه عز وجل بحقهما، فقال عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وأن الصحبة الحقيقية هي صحبة الوالدين، فيأنسون بحوارك لهم وتأنس لهما ببرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال «أمك». قال ثم من؟ قال «ثم أمك». قال ثم من؟ قال «ثم أمك». قال ثم من؟ قال «ثم أبوك»^(١)، إذن فالوالدان أحق الناس بك فهم منجاتك إذا أحسنت برهما، وطاعتها، وكن على يقين بأنهما سيرشدانك للصواب بإذن الله تعالى، وأنها يريدان لك الصلاح وحمايتك من الشرور.



(١) صحيح البخاري برقم: ٥٦٢٦.





هذا ما تيسر لي في هذه المادة والحمد لله رب العالمين على منِّه
 وكرمه علينا، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا
 لما يحبه ويرضاه، وأن يرينا الحق حقا، ويرزقنا اتباعه وأن يرينا
 الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
 وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا
 أن الحمد لله رب العالمين.



قائمة المصنّاور

١- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢- الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤- الإفصاح عن معاني الصحاح، المؤلف: يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى:



٥٦٠هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن سنة النشر: ١٤١٧هـ.

٥- إكمال المعلم بفوائد مُسَلِّمِ شَرْحِ صَحِيحِ مُسَلِّمِ لِلْقَاضِي عِيَّاض، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.



٨- تفسير السمرقندي، المؤلف: أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٣٧٥هـ)، المحقق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود وزكريا النوتي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ.

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١- تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر:



دار الفكر للطباعة والنشر لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ -
٢٠٠١م.

١٢- تلخيص كتاب الاستغاثة، المؤلف: تقي الدين أبو
العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي
القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:
٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد علي عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية
المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٧.

١٣- التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: الإمام الحافظ
زين الدين عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٠٣١هـ)، دار النشر:
مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨هـ -
١٩٨٨م.

١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن
جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى:
٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون
مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور



عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٦- الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

١٧- السنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٨- السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق:



محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت،
الطبعة الأولى: ١٤٠٠.

١٩- سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد
القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل
مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار
الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٠- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن
إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى:
٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي،
الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢١- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن
موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق:
بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة
النشر: ١٩٩٨ م.



٢٢- سنن النسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٢٣- السنن الكبرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٤- شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



٢٥- شرح السنة، تأليف: أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهباري (المتوفى: ٣٢٩هـ)، دراسة وتحقيق: خالد الردادى، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٦- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الأذرعى الصالحى الدمشقى (المتوفى: ٧٩٢هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

٢٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النوى (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢.

٢٨- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، المؤلف: الإمام الحنبلى أبي عبدالله عبيد الله بن بطة العكبى (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: د. رضا بن نعيان معطى، الناشر مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢-١٤٢٣هـ.



٢٩- الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله
الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٦هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن
عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض -
السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٠- شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن
موسى الخُسْرَوِجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى:
٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور
عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه:
مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر:
مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية
ببومباي بالهند الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣١- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله
البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تعليق وتحقيق: د. مصطفى
ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة:
١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.



٣٢- صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٣- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، المؤلف: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبو بكر ابن العربي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.

٣٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٥- غريب الحديث لابن سلام، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان الطبعة الأولى: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.



٣٦- فتح الباري لابن رجب، المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٢هـ.

٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٣٧٩هـ.

٣٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية: ١٩٧٧م.



٣٩- القصة الكاملة لخوارج العصر، إعداد: إبراهيم بن صالح المحيميد، دار الإمام مسلم- المدينة، الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ.

٤٠- كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الوطن - الرياض ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤١- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أنور الباز وعامر الجزائر، الناشر: دار الوفاء.

٤٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف:



د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة،
الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٤ - مُصنّف ابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن
محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (المتوفى: ٢٣٥ هـ) تحقيق: محمد
عوامة، الناشر: دار الوفاء.

٤٥ - معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء
القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام
محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

٤٦ - المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم
الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ)،
المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية
- دمشق بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ.

٤٧ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو
الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن
موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤ هـ)،



المحقق: هلموت ريتز، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،
الطبعة الثالثة.

٤٨ - الملل والنحل، المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر
أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني،
الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة ١٤٠٤هـ.

٤٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين
أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
الشييباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد
الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت،
سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.



قائمة المحتويات

٥	- افتتاحية
٧	- المقدمة
١٠	- تمهيد: تحذير الأمة من الفتن
٢١	- المبحث الأول: مباحث مهمة في زمن الفتن:
٢٣	أولاً: مهمة الأنبياء الأولى
٣٠	ثانياً: الخوارج:
٣٠	أول ظهورهم
٣٢	صفاتهم
٣٥	أصل معتقدتهم الفاسد
٣٨	قولهم في الإيمان ومخالفتهم لأهل السنة والجماعة
٤٢	تكفير الخوارج صاحب الكبيرة وتخليده في النار
٤٥	ثالثاً: خطورة تكفير المسلمين
٤٧	رابعاً: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم



- ٥٥ - المبحث الثاني: حماية مجتمعا من الأفكار الضالة:
- ٥٧ أولا: واجبنا تجاه حماية المجتمع
- ٥٩ ثانيا: واجبنا تجاه أهل العلم
- ٦٢ ثالثا: واجب الشباب تجاه أنفسهم
- ٦٤ - الخاتمة
- ٦٥ - قائمة المصادر
- ٧٩ - قائمة المحتويات

